Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

التجديد المقاصدي: من داخل النّسق الإسلامي إلى الاتجاه الحداثي

Legal objectives renewal: from within the Islamic system to the modernist direction

مريم عطية بوزيان Meriem Attia bouziane
جامعة الملك خالد - أبها – المملكة العربية السعودية King Khalid University - Abha - Saudi Arabia
mattia@kku.edu.sa

تاريخ الاستلام : 2019-01-26 تاريخ القبول : 2019-03-04

ملخص:

الباحثة أرادت في مقالها كشف بعض الدراسات المعاصرة التي تقوم على النظرة التقويمية للمباحث المقاصدية والتي تعلّق جزء منها بالشكل وآخر بماهية المقاصد والذي أثار إشكالا واسعا ونقاشا عريضا ، سواء حول حصر الكليات في الخمس أو الإضافة عليها وكذا التفرقة بين مقاصد الخلق ومقاصد المكلف، وما قدّمه المعاصرون من إضافة الحرية والعدالة وضرورة تأسيس الدولة ،ومنهم من أضاف تصنيفا جديدا يتضمّن التعبد والتعقل والتحرر، ومنهم من توسّع في المقاصد فنقلها من الكليات الخمس إلى مجالات أربع،كما لم تغفل الباحثة التجديد الذي كان خارج إطار النسق الإسلامي والذي دعا إليه التيار الحداثي موجّها كل اهتمامه إلى أنّ الأحكام وسائل للمقاصد مما أدّى إلى هدر الأحكام الشرعية التكليفية .

الكلمات المفتاحية : الكليات الخمس - التجديد المقاصدي - الاتجاه الحداثي - المدرسة المقاصدية المعاصرة

ABSTRACT

The researcher wanted in her article to uncover some contemporary studies that are based on the calendar view of the Makassed researches, some of which are related to the shape and the other of thereality of higher objectives of sharia,which raised a wide problem and a wide discussion both about the faculties of the five or the addition to it, as well as the distinction between the purposes of creation and the goals of theThe person in charge of the judgments Freedom and justice and the need to establish the state, and some of them added a new classification includes worship, sanity and freedom, and some of the expansion of the purposes of the transfer from the five faculties to the four areas, and did not ignore the researcher renewal, which was outside the framework of Islamic and called for the current Modernist directed all his attention to the provisions of the provisions of the purposes, which led to the waste of the provisions of legitimacy mandate.

Key words: The five colleges - the Makassed renewal - the modernist direction - the contemporary Makassed school

التجديد المقاصدي في الفكر المعاصر،ارتبط بأسماء علماء حاولوا أن يعيدوا النّظر في الكثير من الكليات المقاصدية،التي أرادوا تطويرها وعدم حصرها في الخمس المتفق عليها وربطها بالمستجدّات والنّوازل المعاصرة، كما ارتبط التجديد بإعادة النظر في بعض مفاهيم ومضامين المقاصد كالمساواة والعدل والسّماحة والحرية وحقوق الإنسان ، كما ارتبط التجديد في مفهوم البعض الآخر بضرورة تجاوز الاعتبار الجزئي وذلك بتسليط النظر على الكليات الشرعية ،والملاحظ على هذه الصّحوة المقاصدية المعاصرة هي كثرة الكتابات والأبحاث ، التي دعت إلى التجديد وتطوير المقاصد .

إلاّ أن السّؤال الجوهري الذي يُطرح ماالمقصود بالتّجديد في علم المقاصد ؟ وما هي ملامح التّجديد ؟وعلى أي مستوى ؟ وما هي الضّوابط المنهجية التي اعتمدوها في دعاويهم ؟

إشكالية البحث : التجديد مصطلح معاصر ارتبطت به رؤى مختلفة فما المقصود بالتجديد ؟

وما هي ضوابطه؟ وما هي المشاريع التجديدية التي طرحت في الدرس المقاصدي المعاصر ؟

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى التعرّف على معالم المدرسة المقاصدية المعاصرة، ومناحي التجديد فيها ودور هذا التجديد في عملية الاجتهاد المعاصر.

الدّراسات السابقة :

هناك مجموعة من الكتابات المقاصدية في باب التّجديد استفدت منها وتتمثّل في الكتابات الآتية:

- تجديد المقاصد عند العلوانييشي عبد الحليم ،2010م ، عدد 9.
- تجديد المنهج للكشف عن المقاصد ،باريش ميمون عبد السلام ، ع19،2012م
- تصنيف المقاصد عند المعاصرين في الفكر الأصولي المعاصر ، عبد القادر بن حرز الله ، جامعة باتنة ، مجلة الإحياء، عدد 14
- ملامح التجديد في الفكر المقاصدي، بوعود أحمد ، مج 30 عدد 117،2005م
- ملاحظات سريعة لمشاريع عصرية لشهيد محمد ،أعمال الندوة العلمية الدولية 2012م .

خطة البحث : لمعالجة هذا الموضوع سرت وفق الخطة الآتية :

مقدمة

المبحث الأول : التّجديد في المدرسة المقاصدية المعاصرة المفهوم والماهية

أولا : مفهوم التّجديد

ثانيا : التجديد في المقاصد

ثالثا :منحى التجديد من حيث المفهوم

رابعا : منحى التجديد من حيث التصور

المبحث الثاني : المشاريع التجديدية ورؤى التجديد

أولا : المقاصد أداة للبرهنة عند ابن عاشور والتفريق بين مقاصد آحاد الأمة وعمومها

ثانيا التجديد على مستوى مراتب مقاصد الشريعة عند جمال الدين عطية

ثالثا :إسهامات علال الفاسي في ضبط مناهج الكشف عن المقاصد

رابعا: المقاصد العليا عند العلواني

المبحث الثالث :الاتجاه الحداثي ودعوى تجديد المقاصد

أولا : نظرية المقاصد في الخطاب الحداثي

ثانيا : اختزال الكليات عند حسن حنفي

المبحث الأول : التجديد في المدرسة المقاصدية المعاصرة المفهوم والماهية

أحاول في هذا المبحث أن أعطي مفهوما مبسّطا للتجديد في الدّرس المقاصدي، وكذا تحديد الرؤى والمستويات التجديدية

أولا : مفهوم التجديد

لغة تجدّد الشّيء ، يعني صار جديدا والشّيء استحدثه وصيره جديدا [1] وهو إعادة الخلق البالي بعد أن تقادم به العهد وغشيته عوادي الزمن إلى حالته الأولى ويقال جدّد العهد وثوبا له جديدا يقول أحمد شوقي :

آياته كلّما طال المدى جُدّد يزينهنّ جلال العتق والقدم

فالتجديد يفيد وجود أصل صحيح حصل عنه تغير إلى شيء، وتجديده يكون بردّه إلى أوّل عهده كالسّيف الذي إذا علاه الصّدأ لأنه يعيد للسّيف مضاءته من جديد.

وقد وردت بعض مشتقات التّجديد في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : ﴿ **أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ [2]وفي موضع آخر﴿ **وَقَالُوا أئذا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾، وتجديد الدّين معناه بعث ما اندرسمن أحكام الشّريعة ، وما ذهب من معالم السنن وما خفي من أحكامه الظاهرة والباطنة ، وقد عرّف التجديد صاحب فتح

[1] ابراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، تركيا ، دار الدعوة للتأليف ، 1989م ، ج1، ص 109

[2] سورة ق آية 15

القدير بأنه إحياء لمعاني الدين الحق في النفوس ثم إقبال على واقع التدين لترقية الالتزام بأحكام الدّين [3]

ثانيا : التجديد في المقاصد

اختلفت رؤى التّجديد عند دعاته بين أن يكون التّجديد على مستوى مفهوم المقاصد وعلى مستوى مسالك الكشف عنها ،وبين التّجديد على مستوى مراتب المقاصد أو على مستوى المنهج كأن تكون منهجا كمنهج العلوم العقلية في استدلالهم المنطقي الفلسلفي، واعتبارها دليلا مستقلا عن الأصول ومنهم من زاد على الكلّيات الشرعية ووسّعها، ومنهم من عقد الطّموح على المقاصد ليرفع بها العقل المسلم من عقلية التّلقين والتلقي إلى عقلية التفكير والاستنتاج والاستدلال والاستقراء والتّحليل والنقد والموازنة والاستشراف المستقبلي واعتبرها نقلة فكرية نوعية في الحياة العقلية والذهنية [4] كما نجد من بينهم من تعامل مع المقاصد وفق منهج المتقدمين ومنهم من جعل المقاصد هي الآلية الوحيدة للتعامل مع القضايا فصار هاجسهم المصلحة سواء وافقت النص أم عارضته بحجة مسايرة روح العصر ومتطلباته ومن مفاهيم التّجديد عند البعض نقد الاجتهاد المقاصديضمن رؤية عدم وصول غاية التّكليف وثمرته من خلال تحويل أحكام الشّرع إلى واقع فعلي حاكم على الفعل البشري فردا أو أسرة ومجتمعا .ومن ضمن آراء الذين انتقدوا الاجتهاد المقاصدي المعاصر جمال الدّين عطية حين قال : « الاجتهاد المقاصدي بالصورة التي عرضناها ، ما هي في الحقيقة إلا المصلحة المرسلة أو الاستصلاح كدليل شرعي تكلّم فيه الأصوليون منذ القديم وما عملنا فيه إلا التطويركما كتبوا والبناء عليه »[5] فالتجديد في نظره لم يخرج عن مفهوم التّجديد في المقاصد لا التجديد بها .

سأحاول في هذه الورقة أن أتطرّق إلى بعض المناحي التجديدية التي طرحتها بعض الأسماء المقاصدية التي اعتمدت على مركزية المصلحة الشرعية وفق ضوابطها الأصولية كما استنتجها من خلال بعض القراءات أو تلك الحداثية التي اعتمدت على مركزية المصلحة وفق ما تقتضيه تطورات العصر والواقع بغض النظر عن مدى اعتبار الشرع لها أم لا .

ثالثا :منحى التجديد من حيث المفهوم

أولا : لا نكاد نجد من حيث تعريف المقاصد تعريف له بعد واحد بل تلك التّعاريف المختلفة التي بدت على كتابات الباحثين تعكس رؤى مختلفة لاتجاهات مقاصدية مختلفة تتقاطع وتشترك في نقاط كثيرة رغم اختلافها ، ففي الوقت الذي نجد فيه الشاطبي قد ركّز على المكلف بالنسبة للتشريع تحدّدت ماهية المقاصد ودورها بالنسبة للمكلّف ، فالشاطبي اكتفى في الموافقات بقوله :« إنّ وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا »[6] و في موضع آخر يقول : «المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلّف من داعية هواه حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد لله اضطرارا »

بالنسبة لعبد المجيد النجار فقد أفاد بأنّ للشريعة الإسلامية مقصدا كليا عاما هو تحقيق مصلحة الإنسان وخيره » [7] ويربط مثلا الدكتور طه عبد الرحمن المقاصد بالجانب الخلقي ، ويؤكّد أن المقاصد علما أخلاقيا موضوعه الصلاح الإنساني

والحقيقة أنه بالرغم من تمايز المصطلحات في المفهوم واعتبار البعض اتساع المفهوم الحدي إلا أن التجديد من حيث المفهوم ظل مرتبطا بغاية المقاصد ومركزية الإنسان وما تجلبه المقاصد من مصلحة وما تدفعه من مفسدة وهو تحصيل حاصل للآراء الأصوليين المتقدمين.

رابعا : منحى التجديد من حيث التصور

لم يختلف أصحاب المدرسة التجديدية في أن تصورهم للمقاصد هو مدخلا للإصلاح بعد تشخيص الواقع وإدراك ملابساته وتبين اتجاهاته وهو ما عبر عنه ابن عاشور بقوله :«البحث عن وسائل إصلاح أحوالهم حتى يعودوا كما بدئوا من كمال الارتقاء »[8]

المبحث الثاني : المشاريع التجديدية ورؤى التجديد

أولا : المقاصد أداة للبرهنة عند ابن عاشوروالتفريق بين مقاصد آحاد الأمة وعمومها

---

[3] الترابي ، تجديد الفكر الإسلامي ص 155، ينظر سعيد شبار ، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص 180

[4] ebn ابراهيم الكيلاني ، مظاهر التجديد في البحث المقاصدي، khaldoun.com

[5] جمال الدين عطية ، نحو تفعيل مقاصد الشريعة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2001م ، ص 15

[6] الشاطبي ، الموافقات في أصول الأحكام ، تحقيق عبد الله دراز ، بيروت ، دار المعرفة ، ج2، ص6

[7] عبد المجيد النجار ، في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية ، بحوث المؤتمر الدولي حول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي ، الرباط ، 2009م ، ص 51

[8] ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص 3

أظهر الإمام الطاهر بن عاشور أهدافه التجديدية في مقدمة كتابه حيث أراد أن تكون مباحث مقاصد الشريعة نبراسا للمتفقهين في الدين ومرجعا بينهم عند اختلاف الأنظار ، وتبدّل الأعصار ، وتوسّلا إلى إقلال الاختلاف بين فقهاء الأمصار، ودربة لأتباعهم على الإنصات في ترجيح بعض الأقوال على بعض عند تطاير شرر الخلاف [9]فابن عاشور وفق رؤيته التجديدية يريد منهجا كمنهج أصحاب العلوم العقلية في استدلالهم المنطقي الفلسفي واعتمادهم على الأصول الموضوعة والبديهيات والأدلة الضرورية والمشاهدات [10]

اهتم ابن عاشور بإثبات المعايير والضوابط التي تعرف بها المقاصد وانتهى به القول إلى :« أنّ اليقين بأن أحكام الشريعة كلها مشتملة على مقاصد الشارع وهي حكم ومصالح ومنافع ، ولذلك كان الواجب على علمائنا تعرف علل التشريع ومقاصده ظاهرها وخفيها »[11]

في نظري فإن ابن عاشور ركّز في رؤيته التجديدية على المنحى الأبستيمولوجي فهو أراد للمقاصد أنتكون منهجا واضحا للاستدلال للوصول إلى حقائق الاجتهاد .

أسس ابن عاشور في المنحى المقابل تشريعات الضّرورة أو التشريعات المؤقتة واهتم بالأمة في كتابه مقاصد الشريعة وتبصر بعمق فهمه أن طريق المصالح أوسع طريق يسلكه الفقيه في تدبير الأمة عند نوازلها ونوائبها إذ التبست عليه المسالك وأنه إن لم يتبع هذا المسلك الواضح والمحجة البيضاء فقد عطل الإسلام على أن يكون دينا عاما وباقيا [12].

لقد أراد ابن عاشور بهذا النوع الاجتهادي أن يدلّل على أنّ مصلحة الأمة مقدّمة على باقي المصالح وهي الضرورة العامة ، المؤقتة وما يعرض للأمة من ضرورات تستدعي إباحة الفعل الممنوع لتحقيق مقصد شرعي مثل سلامة الأمة وإبقاء قوتها ،أو نحو ذلك وإنها تقتضي الضّرورة تغييرا للأحكام الشرعية المقررة للأحوال التي طرأت علها تلك الضرورة [13] بل كان الإمام أوسع نظرا وأفقا في أخذه بنظرة كونية عالمية في مقاصد الشريعة،إذ لم تقتصر رؤيته على حفظ نظام الأمة ، بل حفظ نظام العالم وضبط تصرف الناس فيه على وجه يعصم من التّفاسد والتهالك كما في الانحباس الحراري ودمار البيئة وخطر الأسلحة النووية والبيولوجية التي يعم ضررها العالم ولا يقتصر على وطن دون آخر [14]

أضاف أيضا ابن عاشور مقصد الحرية الذي لم يعن به الأصوليون ودليله استقراء الشريعة الذي دل على أن أهم مقصد من مقاصدها إبطال العبودية وتعميم الحرية [15]ومن هذا الاستقراء كثرة الأمر بعتق الرقاب الذي دلنا على أن مقصد الشريعة حصول الحرية .

ثانيا التجديد على مستوى مراتب مقاصد الشريعة عند جمال الدين عطية

قسّم الأصوليون مراتب المقاصد كما هو معروف إلى ضرورية وحاجية وتحسينية ، والمقاصد الضرورية كما يعرّفها الشاطبي بأنه لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين

هذه الضروريات هي الدين ، النفس ، النسل ، العقل ، المال وهي الأصول المحقّقة للاستخلاف والمرتبة الثانية تتمثل في المقاصد الحاجية، وهو ما يحتاج إليه الناس من أجل التوسعة ورفع الحرج وقد عبّر عنها الشاطبي بقوله : «إذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة ولكنه لم يبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة» [16]

والمقاصد التحسينية معناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات وما كان بها كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة ، ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم [17]

تتمثل الرؤية التجديدية عند جمال الدين عطية إضافة مرتبتان إلى المراتب الثلاث ، مرتبة ما دون الضروري ، ومرتبة ما وراء التحسيني .

---

[9] ابن عاشور ، مقاصد الشريعة ج3، ص 5، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، قطر ،وزارة الأوقاف 1425هـ/2004م ،ج3، ص 71

[10] ابن عاشور ، مقاصد الشريعة ج3، ص8

[11]المرجع السابق

[12]ابن عاشور ، مقاصد الشريعة ، ج3 ، ص 257

[13] ابن عاشور ، مقاصد الشريعة ج3 ، ص358

[14] عمار الطالبي ، التجديد عند ابن عاشور ، بحوث المؤتمر الدولي حول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ، الرباط ، 2009م ، ص 45

[15] ابن عاشور ،مقاصد الشريعة ،ج3،ص 373

[16] الشاطبي ، الموافقات ج2، ص5

[17] ابن عاشور ،مقاصد الشريعة ،ج3،ص 373

وقد ساق جمال الدين عطية لهذا الغرض الأمثلة الآتية : أنّ الغذاء في مجال حفظ النفس يقع دون مرتبة الضرورات حيث ملايين الضحايا الذين يموتون سنويا نتيجة المجاعات وسوء التغذية ويقابل ذلك في مرتبة ما وراء التحسينيات ملايين تعيش حياة الترف والإسراف والتخمة سواء في الغذاء أو الكساء أو المسكن ويرجع الكاتب أهمية إبراز مرتبتي التقصير والإسراف إلى أنها تعد لحدود الله ينبغي أن تحظى بأولوية الاهتمام لإزالتها من واقع الحياة وهذا يقتضي تعيينها وبيان حكمها ومنهج التعامل معها، كما أنّ ما يبدد من أموال وطاقات وأوقات في رتبة الإسراف كفيل بأن تسد به مرتبة التّقصير ، ثم يصار إلى سد مرتبة الضرورات وصولا إلى تلبية الحاجيات فالتحسينيات حسب الإمكان [18]

وأخيرا أراد أن يبين دور الدولة في مراعاة حدي التقصير والإسراف

والسؤال الذي يجب طرحه : لماذا حاول جمال الدين عطية أن يجعل تقصير المكلف عن أداء الضروريات والحاجيات مرتبة مستقلة ؟ وكيف يستقيم هذا مع مفهوم المقاصد الذي تعني في مجملها مراد الشّرع من جلب المصالح ودرء المفاسد ، أما تقصير المكلف فهو من باب درء المفاسد التي جاءت الشريعة للعمل على إبعادها .

لم ينكر جمال الدين عطية أنّ ترتيب المقاصد من المسائل الأكثر خلافا بين الأصوليين وأنّ مبررات الترتيب التي قدمت ليست من النوع القوي في الاحتجاج ،فأهمية الترتيب لا تخفى في مجال دفع التعارض بين كليتين ، يقدم المتقدم في الترتيب ويؤخر المتأخر ،وهو ما سيؤدي في نهاية المطاف إلى اختلاف الأحكام الاجتهادية.

لم يخف جمال الدين عطية توجهه نحو استقراء النصوص التي تظهر الترتيب حال التعارض كالنصوص الخاصة بالجهاد وفي تقديم الدين على النفس فما هو الحل الذي يطرحه جمال الدين عطية لحل إشكالية الترتيب ؟

اقترح جمال الدين عطية فكرة المنظومة الدائرية لحل إشكالية الترتيب ويعني بها ضرورات متضمنة في ضرورات أخرى أي كأنها دوائر ، فهناك دوائر كبيرة جدا وواسعة بداخلها دوائر أصغر فأصغر فأصغر ، وهذا نظام آخر للتصنيف فدائرة الدين واسعة جدا وتتضمن دوائر أخرى .

ثالثا:إسهامات علال الفاسي في ضبط مناهج الكشف عن المقاصد

من بين الجهود التي أرادت أن تبرزها المدرسة المعاصرة مساهمات واضحة في المنهج منها ما أراد إثباته علال الفاسي في ضبط منهج الكشف عن المقاصد فقد تدرج بذكر الوجوب أو المنع الصريحين أو بالتدرج في التشريع أو تنفيذ الحكم مع بعض صوره والتسامح في الصور الأخرى .

إلا أنّ أبرز طريق تكلّم عنه هو أمر الإرشاد ويقول عنه :« ومن جهة الدليل نستعمل أمر الإرشاد الذي نعتبره أصلا من أصول الشريع ومن وسائل تطورها ومثاله قوله تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَاالْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾[19]

يقول فدلّ هذا على أنّ قصد الشّارع هو الابتعاد عن كلّ ما يحدث العداوة والبغضاء ويصدّ عن ذكر الله وعن الصّلاة ، فكل ما تحقّق فيه شيء من ذلك فقد دل المقصد الشرعي في عدم وقوعه على تحريمه وتحريمه ليس من قبيل القياس فقط ولكنه من قبيل الأمر الصّريح عن طريق أمر الإرشاد [20]

وقد حاول الفقهاء استنباط أمر الإرشاد وتقييم العموم به في بعض المسائل كما قالوا في قوله تعالى : ﴿**وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا**﴾[21]

فبالرغم من أنّ الآية صريحة في دفع الأموال لليتامى بمجرد استيناس الرشد فقد قيدوه بالتجربة لظهور مخايل الرشد في المحجور المراد ترشيده مستنبطين ذلك من عبارة الإيناس التي ترشد إلى مثل ذلك ، كما حاول علالّ الفاسي أن يتناول المقاصد من جانب تنزيلها في الواقع وكيفية اعتبارها حلاّ في المشكلات المعاصرة وقد أولى علالّ الفاسي للمسألة الاجتماعية أهمية كبيرة في تفكيره وتنظيره وما تخصيصه لنصف صفحات الكتاب لنقد الفكر الاجتماعي إلا لأهمية هذا الجانب في نظره يقول رحمه الله :لا يمكن لأمة أن تنهض من وهدة السقوط التي وقعت فيها إلا إذا تدربت على أن تفكر اجتماعيا[22]

---

[18] بوعود أحمد ، ملامح التجديد في الفكر المقاصدي ، مصر ، المسلم المعاصر ، مج 30، ع 117

[19] سورة المائدة 90-91

[20] المرجع السابق ص 244

[21] سورة النساء آية 6

[22] علال الفاسي ، مقاصد الشريعة ومكارمها ص 244 ،عنون علال الفاسي لهذا بقوله : قاعدة أصلية لم أر من نبه لها من علماء الأصول

ويتطرق علال الفاسي للمسألة الاجتماعية في كتابه مقاصد الشريعة فيقول : «إنّ غاية الشريعة هي مصلحة الإنسان كخليفة في المجتمع الذي هو منه ، وكمسئول أمام الله الذي استخلفه على إقامة العدل والإنصاف وضمان السّعادة الفكرية والاجتماعية والطمأنينة النفسية لكل أفراد الأمة»[23]

خامسا : المقاصد العليا عند العلواني

بسبب الانفصام الواقع بين تعاليم الإسلام وواقع الحياة كان هدف العلواني مراجعة الوسيلتين الآتيتين :

أ- **بيان علل الأحكام وغايات الإسلام ومقاصد الشريعة**

ولم يخرج بهذا الأمر عن مباحث القياس والاستصحاب وأسرار التشريع وحكمه كما فعل الغزالي في إحياء علوم الدين .

ب- **ترتيب الأولويات الشرعية**

وطرح فيها العلاقة بين الوسائل والمقاصد ففقه المقاصد يمكّن من فهم الوحي وفقه الأولويات يمكن من فهم الواقع والتدين تركيب لهذا وذاك [24]

وبناء على ما سبق من تفعيل البحث في العلل وترسيخ علم الأولويات والارتفاع إلى المفاهيم الكبرى للفقه الأكبر يرسم العلواني تأسيس فقه المقاصد على مبادئ مهمة

1- اعتماد الكليات التشريعية في النصوص الجزئية وتوجيهها إذ أنه نوع من رد الشبهات إلى المحكمات والفروع إلى الأصول

2- عدم الوقوف عند حلول التعليل اللفظي والقياس الجزئي

3- الانطلاق من الاستقراء الشامل الذي يحاول الربط بين جزئيات لصياغتها في قانون عام

4- الانطلاق من معقولية أحكام الشريعة التي تظهر بالتدبر في النص أو السير في الأرض أو النظر في الوقائع

يتمثل المشروع التجديدي عند جابر العلواني في استقراء الكليات والحقائق في الكتاب المهيمن والسنة النبوية ، ويجعلها ناظمة لكل التشريعات والتوجهات ، فهي كليات قطعية مطلقة معبرة عن وحدة الدين والرسالة ، إذ هي كالمبادئ الدستورية القادرة على ضبط الأحكام الجزئية ، فهي ليست دليلا من الأدلة بلهي المنطلق والأساس لتجديد قواعد أصول الفقه ، فهي الأقدر على بعث وإحياء التجديد والاجتهاد في الفقه .

هذه المقاصد الحاكمة التي تندرج تحتها كل المقاصد الشرعية بمختلف مستوياتها الضرورية والحاجية والتحسينية وتتمثل في :

1- **التوحيد**

التوحيد تجاه الخالق مصدر التكوين وملهم المعرفة ، وهو أهم قواعد التزكية يساعد الإنسان على الاستعلاء بخالقه على ما سواه ، والتوحيد الخالص أهمّ قواعد إيجاد الإنسان التغيير ، فهو ملهم الإيمان بوجود البشر في الأصل والمنشأ والمصير

2- التزكية تجاه الإنسان والنفس البشرية حتى تستقيم تجاه أوامر الخالق وتمشي بفقه العمارة والاستخلاف

3- العمران تجاه هذا الكون المسخر للإنسان المطالب بقراءة كتابه المفتوح

هذه المقاصد الكلية القائمة على استقراء نصوص الكتاب والسنة والمعارف الهدائية المبثوثة في الكون ما يمكن أن تشكّل برنامجا لاحتواء كل المقاصد الجزئية والكلية كما يمكنها أن تخرج الفقه والأصول من أزمتهما بحيث تحاكم كل الأحكام والفتاوى في منظور تلك المقاصد العليا الحاكمة

فما ساوقها واندرج تحتها عدّ من الشريعة، وما خالفها أو عاد عليها بالنقض والنقصان، خرج من الشريعة وتطبيقاتذلك في الاجتهاد الفقهي الإنشائي أو الناقد المراجع للموروث هي المهمة المستعجلة للعقل المسلم للخروج من الأزمة الحضارية .

لقد أثبتت تطبيقات العلواني في المقاصد العليا الحاكمة حلا لقضايا فقه الأقليات والمرأة والردة والنسخ والدّعوة لإسقاط الأحكام في الغرب

وسؤالي المطروح كيف تكون مقاصد التوحيد ، العمران التزكية حاكمة على الضروريات من منظور العلواني ؟ فهل حفظ الدّين هو الحاكم على التوحيد أم التوحيد حاكم على حفظ الدين ؟

المبحث الثالث : الاتجاه الحداثي ودعوى تجديد المقاصد

يقوم الاتجاه الحداثي في أهمّ مبدأ له على مبدأ التاريخية الذي لا يخرج في معناه على أنّ الخطاب الشّرعي بكل

---

[23] المرجع السابق

[24] محمد عبد الحليم يشي ، التجديد في مقاصد الشريعة عند الدكتور طه جابر العلواني ، دراسات إسلامية ، مركز البصيرة العدد9، 2010م .

حيثياته الزمانية والمكانية يخضع للتطور والتغير ، لأنه نشأ في بيئة معينة وزمن معين تنتهي دلائل الحكم فيه مع انتهاء متغيرات الزمن .

لذلك نجد الخطاب الحداثي يسعى إلى إحلال النظرة التاريخية في التعامل مع الأحكام الشرعية بدل النظرة الشرعية المطلقة الداعية إلى صلاحية الحكم زمانا ومكانا

والملاحظ أن الاتجاه الحداثي لم يستطع أن يقاطع التراث ويشكل مقابلا عدائيا له لأنه يؤمن أنه لن مكن أن يزرع البذرة في العقل العربي بهذه القطيعة لذلك راح يبحث عن نوافذ يستطيع الولوج إلى النص الديني ومن أهم هذه المصطلحات والمفاهيم الت اعتمدها الخطاب الحداثي نظرية المقاصد .

أولا : نظرية المقاصد في الخطاب الحداثي

لقيت نظرية المقاصد لدى الاتجاه الحداثي اهتماما واسعا إلى درجة إهدار الأحكام الشرعية التكليفية

إذ اعتبروا الأحكام لم تشرع إلا لتحقيق مقاصدها .

فالأحكام تعتبر وسائل بالنسبة للغايات والمقاصد المرجوة منها ، فالحدود لم تشرع إلا لردع مقترفي المعاصي ومنع الربا لم يشرع إلا لتحقيق مقصد العدالة ، وهكذا دواليك في كل أحكام الشريعة فالحكم ليس مقصود لذاته بل بما يحمله من قيمة في ذاته [25] فإذا تحقق المقصد من الحكم فلا داعي للالتزام به بل يوجد مبرر لاستمراره وهذا الحكم شامل لكل العبادات الشرعية .

فالشريعة إنما جاءت بها لأنها هي التي تحقق أغراضها في زمن الرسالة وهذا يعني أنها غير مقصودة بالتشريع إلا على جهة الوسيلة فقط [26]

ومن أكثر المعاصرين الذين دافعوا عن مثل هذه النظرية الدكتور عبد المجيد الشرفي ، إذ يرى أن النص الديني غير متلائم مع معطيات الحداثة لذلك فالسبيل للخروج منها ضرورة التخلص من التعلق المرضي بحرفية النصوص ولا سيما النص القرآني وإيلاء مقاصد الشريعة المكانة المثلى في سن التشريعات الوضعية التي تتلائم وحاجات المجتمع المعاصر [27]

كما دعا إلى قلب القاعدة الأصولية التي استقرت في العقل الأصولي منذ تأسيسه والتي تدعو إلى أن العبرة ليست بخصوص السبب ولا بعموم اللفظ معا بل في ما وراء السبب الخاص واللفظ المستعمل له يتعين البحث عن الغاية والمقصد [28]

ثانيا : اختزال الكليات عند حسن حنفي

ممّن دعا إلى تجديد التراث المقاصدي ومن أبرز من حظي بالعناية في مباحث المقاصد حسن حنفي في كتابه من النص إلى الواقع.

وسأحاول الوقوف على قراءته التي استند فيها على موافقات الشاطبي بل إنه لم يستطع الخروج في مستوى الشكل عنها ،إلاّ أنه أراد أن يجتهد على مستوى ترتيب الكليات بالاختزال

فترتيب حسن حنفي خاضع لنسق عقلي محض ، اعتبر فيه الحياة أو النفس في المرتبة الأولى ، وأدخل في النفس النسل الذي يضمن استمرار الحياة ، وفي كلية حفظ النفس أدخل كل ما يجب لها من الحماية وما يتهدّدها حتى من حياة الحيوان والنبات ، ثم يلي النفس العقل لأنه أداة فهم الشريعة [29]

ثم أدرج الدين كقيمة يدركها العقل ويليها الكرامة المعبر عنها بالعرض الفردي والجماعي

وتأتي الثروة الوطنية وهي المقوم المادي للحياة ، والتي عبر عنها بالمال وأدخل حتى مقدرات الأمة تحت الأرض وفوقها [30]

ما الذي أضافه حسن حنفي للدّرس المقاصدي؟

لم يحافظ حسن حنفي بداية على هيكل الترتيب المستند إلى استقراء النصوص الدالة على أسبقية الدين على باقي الكليات وقد شهدت لأولوية الترتيب نصوصا صريحة إلا انه توجد في إعادة الترتيب أنه كان خاضعا للعقل فحسب والملاحظ أنه لم يضف شيئا جديدا سوى أنه كسا بعض المصطلحات بلغة العصر

وهو في نظره يعتبر أنّ هذا المنهج جعله يشمل حقوق الإنسان الفردية والجماعية [31]

والسّؤال الذي يجب أن يطرح هل إعادة ترتيب الكليات المنصوصة من قبل، والقائمة على تبريرات شرعية وشهادة

(1)سلطان العميري، التداول الحداثي لنظرية المقاصد ، دراسة نقدية

(2)عبد المجيد الشرفي ، القراءة الجديدة للنص الديني ص 69

(3) عبد المجيد الشرفي ، لبنات ، ص162

)الشرفي ، الإسلام بين الرسالة والتاريخ ص 70 [28](

[29] حسن حنفي ، في الفكر الغربي المعاصر، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ص 25

[30] بشير المكي عبد اللاوي ، قراءة في الكتابات المقاصدية المعاصرة ، أعمال الندوة العلمية الدولية ، مقاصد الشريعة والسياق الكوني المعاصر ، الرباط 2012م

[31] حسن حنفي من النص إلى الواقع ، محاولة إعادة بناء أصول الفقه ، القاهرة ، مركز الكتاب للنشر ، 2004م ج2، ص577

النصوص لها أولى بالاشتمال على حقوق الإنسان والجماعة ، أم الطرح العقلاني المحض الذي لم يكن في عمق سوى تلوين بعض المصطلحات الأصلية للمعاصرة .

انتقد نصر حامد أبو زيد حسن حنفي في ترتيبه واعتبره لم يقدّم أي إضافة نوعية ذات شأن في الدرس المقاصدي،وراح هو يختزل بدل التوسع والغريب أنّ طرحه المقاصدي استبعد منه كلية حفظ الدين وكلية حفظ النفس وكلية حفظ العرض ،وإذا كان من غير المتصور أن يدعو نصر حامد أبو زيد إلى الحذف والاستبعاد لمقصد حفظ النفس فإن النتيجة الوحيدة لهذه القراءة استبعاد مقصد العرض والدين [32]

لماذا أدرج نصر أبو زيد العقل في المرتبة الأولى ؟ ولماذا توجه إلى مفهوم المواطن بإلغاء خصوصية الدين وتأطير المواطنة في إطار العقل والحرية والعدل .

كيف يُلغي نصر أبو زيد كلية الدّين وقد دلّالاستقراء الكلّي عليه بل أثبتت النّصوص أولويته على الحرية والعدل والعقل ؟ وإذا كان المنهج الذي اعتمده نصر أبو زيد في استخلاص هذه الكليات هو الاستقراء فإنّ الاستقراء بالمقابل أفاد كليات أخرى ،أهملها فأين هو المنحى التجديدي في المسألة وعلى أي أساس ومنهج اعتمد ؟

لقد رد محمد عمارة على نصر حامد أبو زيد فقال إنّ الاستقراء قام به علماء أصول الفقه قديما وأن الكليات الخمس وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال مراعاة في كل ملة [33]

والمعنى أنها حازت اتفاق مختلف العقول البشرية في كل العصور لأنها منظومة جامعة لمقومات الاجتماع الإنساني التي من دونها لا يستقيم العمران البشري على صراط الفطرة الإنسانية [34]

لقد اعتبر الشّاطبي الدين أعظم الأشياء ولذلك يهمل في جانبه النفس والمال وغيرهما [35]

وهو ما سعى له نصر أبو زيد بنفسية المهزوم أن يلغي الدين كما سعت لإلغائه المادية الغربية ومن ثم فإنّ مهمّة المقاصد الإسلامية ليست اللحاق بالركب الغربي وإنما استنهاضه لقيادة ركب حضاري متميز مستمد من ذاتها .

والحقيقة أنّ المنحى التّجديدي لقراءة التراث المقاصدي عند أبو زيد يرجع إلى مفهوم النص عنده ،

فالنص عنده مجرد عبارات لغوية وإطار لا يعبر بذاته ، ولا يحمل في ذاته معنى موضوعيا يلتقي الجميع في فهمه وإنما يتحدّد معناه بالإطار الثقافي الذي تتم فيه قراءته لأنه نشأ في الشعور تحت ضغط واقع معين [36]

كما يرجع إلى المنهج الذي اعتمده في قراءة النص إذ اعتمد على اللغة كمدخل لفهم النص ولكن العيب في عزلها عن سياقها وتحميل معاني غير مقصودة أيضا عن طريق التأويل لذلك فإنّ تطرق الحداثيون للدرس المقاصدي بالتجديد هو إخراج للمقاصد عن مقاصد الشرع إلى مقاصد القارئ في فهم النصوص وفي تسلط المناهج التاريخانيةوالأنثروبوجية واللغوية على النص القرآني ،مما جعل هذه الأدوات منتجة لقراءات على غير المقاصد الشرعية .

ومعهود العرب مقيد تأويلي مهم للقراءات التي تكلّم عنها الشاطبي ،وأكّد أن الألفاظ دالة على المعاني بالوضع ،بل إن ابن عاشور كانحريصا في تحديد الصّفات الضابطة للمقاصد الشرعيةوهي كونها ثابتة وظاهرة ومنضبطة ومطردة لأن الشريعة بالفعل رتبت على أوصاف ومعان، إلا أنها أرفقتها بما يضبطها ويحددها حتى تصلح لبناء الأحكام عليها [37]

الخاتمة :

- المدرسة التجديدية اختلفت رؤاها نحو التجديد فمنهم من ركّز على المنهج، ومنهم من ركّز على غاية المقاصد في الإصلاح ، ومنهم من اهتم بفكرة تجانس المقاصد ومدى حضورها في الواقع
- الانتقادات الموجهة إلى جزئيات التقسيم القديم حاول بعض المعاصرين الاستدراك عليها كالدكتور أحمد الريسوني ، الجابري ، وراشد الغنوشي
- انتقد طه عبد الرحمن التصنيف الأصولي للمقاصد في المراتب الثلاثة بالاعتراض على حصر التقاسيم في الثلاث السابقة الضرورية والحاجية والتحسينية فقد رأىأنّ مصالح العباد اليوم لم تعد مقصورة على حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ،بل إنها

[32] عبد اللاوي شبير المكي ، قراء في الكتابة المقاصدية المعاصرة

[33] الغزالي ، المستصفى ، تحقيق محمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1993م ، ص 174

[34] محمد عمارة ، ألف باء الحوار، تحرير مضامين لمصطلحات رد على نصر حامد أبو زيد ، مجلة العربي ، العدد 428 جويلية 1994م

[35] الشاطبي ، الموافقات ،ج2، ص299

[36] الغزالي ، معيار العلم في فن المنطق ، تحقيق سليمان دنيا ، مصر، دار المعارف ،1961م ، ص 76

[37] ابن عاشور ، مقاصد الشريعة ، ص 127

تشمل أمورا أخرى اعتقد بضرورة إدراجها في عرض تلك المقاصد كالحق في حرية التعبير والانتماء السياسي وانتخاب الحاكمين والعمل والمأكل والمشرب والملبس والتعليم والاستشفاء وغيرها من الحقوق الأساسية التي يلح عليها المواطنون في المجتمعات المعاصرة .

- اعتمد المجددون في المقاصد على المناهج الحديثة ولكن تختلف منهجية التطبيق على الواقع الغربي وأكّدوا أنّ الإشكال ليس في المنهج الغربي وإنما الإشكال في خطأ تطبيقه .
- انشغل المجددون بالمنهج وتميزوا باستخدام منهج تجديدي للكشف عن المقاصد الشرعية في الوقت نفسه انتقدوا الحداثيين الذين انبهروا بالمناهج الغربية بل أسقطوا كل أدوات قراءة النصوص الأدبية والتاريخية على النّصوص القرآنية .

تم بحمد الله وعونه نسأله الإخلاص والقبول

قائمة المصادر والمراجع

1- إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، تركيا ، دار الدعوة للتأليف ، 1989م

2- ابن عاشور ، مقاصد الشريعة ج3، ص 5، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، قطر ،وزارة الأوقاف 1425هـ/2004م

3- بشير المكي عبد اللاوي ، قراءة في الكتابات المقاصدية المعاصرة ، اعمال الندوة العلمية الدولية ، مقاصد الشريعة والسياق الكوني المعاصر ، الرباط 2012م

4- بوعود أحمد ، ملامح التّجديد في الفكر المقاصدي ، مصر ، المسلم المعاصر ، مج 30، ع 117

5- جمال الدين عطية ، نحو تفعيل مقاصد الشريعة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2001م

6- حسن حنفي ، في الفكر الغربي المعاصر، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

7- حسن حنفي من النص إلى الواقع ، محاولة إعادة بناء أصول الفقه، القاهرة ، مركز الكتاب للنشر ، 2004م

8- سعيد شبار ، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي

9- الشاطبي ، الموافقات في أصول الأحكام ، تحقيق عبد الله دراز ، بيروت ، دار المعرفة

10-عبد المجيد النجار ، في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية ، بحوث المؤتمر الدولي حول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي ، الرباط ، 2009م.

11-عمار الطالبي ، التجديد عند ابن عاشور ، بحوث المؤتمر الدولي حول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ، الرباط ، 2009م

12-محمد عبد الحليم يشي ، التجديد في مقاصد الشريعة عند الدكتور طه جابر العلواني ، دراسات إسلامية ، مركز البصيرة العدد9، 2010م .

13-

محمد عمارة ، ألف باء الحوار ، تحرير مضامين لمصطلحات رد على نصر حامد أبو زيد ، مجلة العربي ، العدد 428 جويلية 1994م

الغزالي ، المستصفى ، تحقيق محمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1993م

الغزالي ، معيار العلم في فن المنطق ، تحقيق سليمان دنيا ، مصر، دار المعارف ،1961م